أشراط الساعة

تأليـــف

د.عبد الله بن سليمان الغفيلي

المطلب الثالث: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

من أمارات الساعة العظام وأشراطها الكبار نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان من السماء، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويحكم بالقسط ويقضي بشريعة النبي ﷺ ويحيي من شأنها ما تركه الناس، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن.

والكلام على عيسى عليه السلام يتضمن عدة مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة:

ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تدل على نزول عيسى عليه السلام:

الآية الأولى: قوله تعالى: { وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ } [1]. أي أن نزول عيس عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب الساعة، ويدل على هذا: القراءة الأخرى (وإنه لَعَلَم للساعة) بفتح العين واللام، أي خروجه علم من أعلام الساعة وشرط من شروطها وأمارة على قرب قيامها. وروى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية { وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ } [2] قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة [3].

وهذا المعنى مروي عن عدد من أئمة التفسير واختاره - الحافظ ابن كثير وغيره [4].

الآية الثانية: قوله تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ } [5].

---

(1) سورة الزخرف ، الآية: ٦١.

(2) سورة الزخرف آية: ٦١.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٣٢٩) حديث رقم ٢٩٢١ ، وقال أحمد شاكر - رحمه الله -: إسناده صحيح ، وفي مستدرك الحاكم (٢ / ٢٥٤) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(4) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ١٣١ - ١٣٢) ، وأيضا: تفسير الطبري (٢٥ / ٩٠).

(5) سورة محمد ، الآية: ٤.

قال البغوي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: معنى الآية: " أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام " [1].

والآية الثالثة: قوله تعالى: { وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ } [2].

قرر كثير من المفسرين أن الضميرين في (به)، و (موته) لعيسى ابن مريم عليه السلام [3].

وقد روى ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أبي مالك - رحمه الله - في قوله تعالى: { وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ } [4] قال: " ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به " [5]

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: " ولا شك أن هذا هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، فأخبر الله أنه رفعه إليه، وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبا، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع

---

(1) تفسير البغوي (٤ / ١٧٩).

(2) سورة النساء ، الآية: ١٥٩.

(3) انظر: تفسير الطبري (٦ / ٢١) ، وتفسير البغوي (١ / ٤٩٧) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٥٧٧).

(4) سورة النساء آية: ١٥٩.

(5) تفسير ابن جرير الطبري. (٦ / ١٨).

أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم " [1].

وأما الأدلة من السنة المطهرة على نزوله فهي كثيرة جدا منها: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها } [2] [3].

ثم يقول أبو هريرة ﷺ اقرأوا إن شئتم: { وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ } [4].

ومنها حديث جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ { " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة "، قال: " فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة } [5] [6].

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: { الأنبياء إخوة لعلات [7] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه

---

(1) تفسير ابن كثير: (١ / ٥١٤).

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٤) ، مسلم الإيمان (١٥٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٣٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣٢٤) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٧٨) ، أحمد (٢ / ٤٨٣).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء (٤ / ١٤٣) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١ / ١٣٥).

(4) سورة النساء ، الآية: ١٥٩.

(5) مسلم الإيمان (١٥٦) ، أحمد (٣ / ٣٨٤).

(6) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان ، (١ / ١٣٧).

(7) العلات: جمع علة ، والعلة هي الضرة ، والمراد: الإخوة من أمهات مختلفة وأبوهم واحد ، والمراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة: النهاية في غريب الحديث. (٣ / ٢٩١).

نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران [1] كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون } [2] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - معلقا على أحاديث نزول عيسى عليه السلام: " فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، وأبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، وأنه بالشام، بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند الإقامة لصلاة الصبح... فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تتراح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى عليه السلام وعلى يديه، ولهذا قال تعالى: { وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ } [3]. وهذه الآية كقوله تعالى: { وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ

(1) الممصران: تثنية ممصر ، والممصر من الثياب الذي فجه صفرة خفيفة. النهاية لابن الأثير (٤ / ٣٣٦).

(2) أخرجه أحمد (٢ / ٤٠٦) وقال أحمد شاكر: حديث صحيح ، عمدة التفسير (٤ / ٣٦) ، وأبو داود: كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال (٤ / ٤٩٨) ، والحاكم (٢ / ٥٩٥) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير - رحمه الله - في النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٨٨): وهذا إسناد جيد قوي.

(3) سورة النساء ، الآية: ١٥٩.

لِّلسَّاعَةِ } [1] وقرئ " لَعَلَم بالتحريك، أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعائه " [2].

وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام علما من أعلام الساعة، و لم يخالف في ذلك إلا من شذ ممن لا يلتفت إليه ولا يعتد بخلافه [3].

قال السفاريني - رحمه الله -: " أجمعت الأمة على نزوله، و لم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت قائمة به وهو متصف بها " [4].

المسألة الثانية: صفات عيسى عليه السلام

أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات عيسى عليه السلام فجاء في الروايات أنه رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد أحمر اللون، عريض الصدر، أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ { رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر } [5] [6].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم [7] أن رسول الله ﷺ قال: { لم يكن بيني وبينه

---

(1) سورة الزخرف ، الآية: ٦١.
(2) تفسير ابن كثير (١ / ٥١٩ ، ٥٢٠).
(3) انظر: الشريعة للآجري ص (٣٨١). والشرح والإبانة (٢٤١) ، وشرح العقيدة الطحاوية: (٥٠٥).
(4) لوامع الأنوار البهية: (١ / ٩٤ - ٩٥).
(5) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٥).
(6) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء ، (٦ / ٤٧٧).
(7) تقدم تخريجه ص ١١٣.

نبي - يعني عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام... } [1] الحديث.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: { عرض علي الأنبياء فإذا موسى... ورأيت عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود... } [2] الحديث [3].

المسألة الثالثة: مكان نزوله

ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على أجنحة ملكين، وعليه مهرودتان، ويكون هذا مع صلاة الفجر حيث اصطف المسلمون للصلاة، وقد تقدم إمامهم - والغالب أنه المهدي كما سبق - للصلاة بهم، فعندما يعلم بعيسى عليه السلام يتأخر ويطلب من عيسى أن يتقدم ليؤمهم فيأبى، فيصلي بهم المهدي، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ { ... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوما قد عصمهم الله منه، فيسمح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة } [4] [1].

---

(1) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٨) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٥) ، أحمد (٢ / ٤٠٦).

(2) مسلم الإيمان (١٦٧) ، الترمذي المناقب (٣٦٤٩) ، أحمد (٣ / ٣٣٤).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١ / ١٦٧).

(4) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣٧) ، أبو داود الملاحم (٤٣٢١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٧٥) ، أحمد (٤ / ١٨٢).

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: " الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه يترل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية فيترل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه يترل وقد أقيمت الصلاة " (٢).

ويقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: " وبالشام يترل عيسى ابن مريم في آخر الزمان، وهو المبشر بمحمد ﷺ ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه، فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويصلي خلف إمام المسلمين ويقول: إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض " (٣).

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام إذا نزل: ففي بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي الروايات الأخرى أنه يمكث أربعين عاما ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ففي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: { فيبعث الله عيسى ابن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته } (٤) (٥).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: { ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى

---

(1) تقدم تخريجه ص ٩٧.

(2) النهاية في الفن والملاحم: (١ / ١٩٢).

(3) لطائف المعارف ص (٩٠).

(4) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٠) ، أحمد (٢ / ١٦٦).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤ / ٢٢٥٨).

ويصلي عليه المسلمون } [1].

وقد جمع الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بين الروايتين فقال: " هكذا وقع في الحديث: أنه يمكث أربعين سنة، وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم " [2].

وقد عارض السفاريني هذا الجمع فقال بعد أن ذكره بدون عزو: وهذا - والله أعلم - ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره { فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة } [3]، ثم حكى عن البيهقي أنه اعتمد رواية " أربعين "، كما نقل عن السيوطي أنه ذهب إلى ترجيحها؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت والمثبت مقدم [4].

وقال البرزنجي: " إن القليل لا ينافي الكثير " [5].

ولعل الراجح أن يقال: إن رواية " أربعين سنة " هي المعتمدة؛ لأنها رواية الأكثر، كما أشار إلى ذلك السفاريني، ولعل هذه السنين تمر كأنها سبع سنين، ويستأنس لذلك بما رواه عبد بن حميد عن أبي هريرة ﷺ في تفسير قوله تعالى: { وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ } [6]. قال: خروج عيسى، يمكث في الأرض أربعين سنة، وتكون تلك الأربعون كأربع سنين،

---

(1) أحمد (٢ / ٤٠٦).
(2) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٩٣).
(3) أبو داود الملاحم (٤٣٢٤).
(4) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٩٩).
(5) الإشاعة ص (٣٠٤).
(6) سورة الزخرف ، الآية: ٦١.

يحج ويعتمر [1]. والله أعلم.

المسألة الرابعة: الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة

سبق ذكر بعض الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام، وهي تدل دلالة واضحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولا حجة لمن ردها أو قال: إنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة أو أن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها؛ لأنه إذا ثبت الحديث وجب الإيمان به وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ولا يجوز لنا رد قوله لكونه حديث آحاد؛ لأن هذه حجة واهية؛ لأن حديث الآحاد إذا صح وجب تصديق ما فيه، وإذا قلنا إن حديث الآحاد ليس بحجة، فإننا نرد كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ ويكون ما قاله عليه الصلاة والسلام عبثا لا معنى له، كيف والعلماء قد نصوا على تواتر الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام.

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - " أصوله السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة ثم قال: والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه " كافر"، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لد " [2]. وقال أبو الحسن الأشعري [3] - رحمه الله - في سرده لعقيدة أهل الحديث والسنة " الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله وما رواه الثقّات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى يقتله، ثم قال

(1) انظر: الدر المنثور: (٦ / ٢٠).

(2) طبقات الحنابلة (١ / ٢٤١ - ٢٤٣).

(3) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري ، نشأ في حجر زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره ، وقد تتلمذ عليه واعتنق مذهبه ، ما يقارب من أربعين سنة ، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة بعد مروره بمذهب الكلابية ، فأعلن أنه على مذهب أحمد بن حنبل ، وله مصنفات كثيرة ، ومن أشهرها: مقالات الإسلاميين ، وكتاب اللمع ، والوجيز ، وغيرها ، وكان آخر ما ألف كتابه: الإبانة عن أصول الديانة ، توفي سنة ٣٢٤ هـ. تبيين كذب المفتري: (٣٤) وسير أعلام النبلاء (١٥ / ٨٥) والبداية والنهاية (١١ / ١٨٦) ، وشذرات الذهب (٢ / ٣٠٣ - ٣٠٥).

في آخر كلامه: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول: وإليه نذهب " [١].

وقال ابن جرير الطبري بعد ذكره الخلاف في معنى وفاة عيسى عليه السلام، " وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: " يترل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال " [٢] ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في نزوله.

وقال ابن كثير " تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بترول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا " [٣]. وقال صديق حسن خان "والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال... ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضا الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك، ثم ساقها وقال: جميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع " [٤].

وقال الغماري: " وقد ثبت القول بترول عيسى عليه السلام عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على ممر الزمان إلى وقتنا هذا [٥] وقال: تواتر هذا تواترا لا شك فيه بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نحا نحوهم؛ لأنه نقل بطريق جمع عن جمع حتى استقر في كتب السنة التي وصلت إلينا تواترا بتلقي جيل عن جيل " [٦]. وممن جمع الأحاديث في نزول عيسى عليه

(1) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١ / ٣٤٥).
(2) تفسير الطبري ٣ / ٢٩١.
(3) تفسير ابن كثير ٧ / ٢٢٣.
(4) الإذاعة ص ١٦٠.
(5) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام ص ١٢.
(6) المصدر السابق ص: ٥.

السلام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري [1] في كتابه " التصريح بما تواتر في نزول المسيح " فذكر أكثر من سبعين حديثا.

وقال صاحب عون المعبود شرح سن أبي داود: " تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم ﷺ من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة " [2].

وقال الشيخ أحمد شاكر: " نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك... وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره " [3].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: " اعلم أن أحاديث الدجال، ونزول عيسى عليه السلام متواترة، يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لا سيما والأمر دين وعقيدة " [4].

المسألة الخامسة: الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره

ذكر بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره، ومن أقوالهم في ذلك:

١ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم،

---

(1) هو العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي ، له عدة مؤلفات منها: فيض الباري على صحيح البخاري في أربعة مجلدات ، والعرف الشذي على جامع الترمذي وغيرهما. توفي في ديوبند سنة ١٣٥٢ هـ. انظر ترجمته في مقدمة كتاب التصريح لعبد الفتاح أبو غدة محقق الكتاب.

(2) عون المعبود ١١ / ٤٥٧.

(3) من حاشية تفسير الطبري ٦ / ٤٦٠ تخريج الشيخ أحمد محمد شاكر ، وتحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة دار المعارف مصر.

(4) انظر: حاشية العقيدة الطحاوية تخريج الألباني ص ٥٦٥.

وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره [١].

٢ - أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى: { وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ } [٢] فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام، فتوافق خروج الدجال فيقتله [٣].

٣ - أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام [٤].

٤ - أنه ينزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

٥ - أن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ { أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي } [٥] [٦] فرسول الله ﷺ أخص الناس وأقربهم إليه، فإن عيسى مبشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الخلق

---

(1) فتح الباري ٦ / ٤٩٣.

(2) سورة الفتح ، الآية: ٢٩.

(3) التذكرة للقرطبي (٢ / ٧٩٤).

(4) التذكرة للقرطبي (٢ / ٧٩٥).

(5) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٨) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٥) ، أحمد (٢ / ٤٣٧).

(6) صحيح البخاري في صحيحه: ٦ / ٤٧٧ - ٤٧٨ ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦ / ٤٧٧) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل (٤ / ١٨٣٧).

إلى تصديقه والإيمان به [1]. كما في قوله تعالى: { وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ } [2] وفي الحديث: { قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: " نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى } [3]

المسألة السادسة: الأمور التي تكون في زمن عيسى عليه السلام

١ - قتل المسيح الدجال:

سبق ذكر أن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل والمسلمون في حال إعداد أنفسهم لحرب الدجال، وعلمنا أن الصلاة تقام في ذلك الوقت، فيصلي عيسى ابن مريم عليه السلام خلف الرجل الصالح، وعند ما يعلم الدجال بنزول عيسى عليه السلام يهرب، فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين، فيأمرهم عيسى عليه السلام بفتح الباب فيفعلون ويكون وراءه الدجال فينطلق هاربا، فيلحقه نبي الله عليه السلام فيدركه عند باب لد الشرقي فيقضي عليه وعلى من معه من يهود.

ففي الحديث الصحيح عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا، فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود،

---

(1) انظر هذه الأقوال في المنهاج في شعب الإيمان (١ / ٤٢٤ - ٤٢٥) للحليمي ، والتذكرة للقرطبي (٢ / ٦٧٩) ، وفتح الباري لابن حجر (٦ / ٤٩٣) ، وكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص (٩٤).

(2) سورة الصف ، الآية: ٦.

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٢٧) ، قال ابن كثير عن إسناده: " هذا إسناد جيد " ، وروى له شواهد من وجوه أخر ، تفسير ابن كثير: (٤ / ٣٢٤).

فلا يبقى شيء مما خلق الله ﷻ ليتوارى به يهودي إلا أنطق ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله... } (١) (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { ... فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته } (٣) (٤)".

وهكذا يكون أول عمل يقوم به نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء هو مواجهة الدجال والقضاء عليه وعلى من يتبعه من يهود.

٢ - هلاك يأجوج ومأجوج:

إن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى، وسيأتي الكلام على هذه العلامة، والمراد هنا بيان أن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال وفتنته، يفسد هؤلاء القوم في الأرض فسادا كبيرا، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم شر هلكة، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على يأجوج ومأجوج.

٣ - القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام:

عيسى عليه السلام عندما ينزل من السماء يكون تابعا لشرع الإسلام، فيحكم بكتاب

---

(1) ابن ماجه الفتن (٤٠٧٧).

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن (٢ / ١٣٦١) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٤٣٦) ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٧).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤ / ٢٢٥٣).

الله ﷻ وبسنة نبينا محمد ﷺ وبذلك يقضي على كل الشرائع التي تحكم الناس سوى الإسلام، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ } [1].

ومن أجل هذا فهو يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، أو القتل. يقول القرطبي - رحمه الله -: " ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها... وبقوله تعالى: { وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ } [2] وقوله عليه الصلاة والسلام: { لا نبي بعدي } [3] [4] وقوله ﷺ { أنا العاقب } [5] [6]. يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيا بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ بل إذا أنزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر النبي ﷺ حيث قال لعمر: { لو كان موسى حيا

---

(1) سورة آل عمران ، آية: ٨١.

(2) سورة الأحزاب ، آية: ٤٠.

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٨) ، مسلم الإمارة (١٨٤٢) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٧١) ، أحمد (٢ / ٢٩٧).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل (٤ / ١٠٤).

(5) البخاري المناقب (٣٣٣٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٥٤) ، الترمذي الأدب (٢٨٤٠) ، أحمد (٤ / ٨٠) ، مالك الجامع (١٨٩١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٥).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب (٤ / ١٦٢).

ما وسعه إلا اتباعي } [1] [2]. فعيسى عليه السلام إنما يترل مقررا لهذه الشريعة مجددا لها؛ إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل [3].

٤ - رفع الشحناء والتباغض من بين الناس، وانتشار الأمن والرخاء بين الخلق.

من الأمور التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أنها تحدث في زمن عيسى عليه السلام: أن الشحناء والتباغض والتحاسد ترفع من بين الناس حيث تجتمع كلمة الجميع على الإسلام، وتعم البركة، وتكثر الخيرات، حيث تنبت الأرض نبتها، ولا يرغب في اقتناء المال لكثرته، ويترع الله في ذلك الوقت سم كل ذي سم حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها، فتملأ الأرض أمنا وسلما، وينعدم القتال بين البشر فترخص الخيل لعدم القتال، وترتفع أسعار الثور؛ لأن الأرض تحرث كلها.

ففي حديث النواس بن سمعان ﷺ السابق أن رسول الله ﷺ قال: { ... ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِسْل [4] حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس... } الحديث [5].

ومن حديث أبي أمامة الطويل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { ... فيكون عيسى ابن

---

(1) أحمد (٣ / ٣٨٧) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥).

(2) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (٣ / ٣٨٧) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣ / ٣٣٤) رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفا.

(3) التذكرة للقرطبي (٢ / ٧٩٢).

(4) الرسل: بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن ، انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨ / ٦٩) ، النهاية في غريب الحديث (٣ / ٤١٢).

(5) تقدم تخريجه ص ٩٧.

مريم في أمتي حكما عدلا، وإماما مقسطا يدق الصليب، ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور [1] الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات،... } [2].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ { والله ليترلن عيسى ابن مريم حكما عادلا... وليضعن الجزية ولتتركن القلاص [3] فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد } [4].

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: ومعناه أن يزهد الناس فيها، ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب وهي شبيهة بمعنى قول الله ﷻ { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ } [5]. ومعنى لا يسعى

(1) الفاثور: الخوان ، وقيل: هو طست أو جام من فضة أو ذهب ، النهاية في غريب الحديث (٣ / ٤١٢).
(2) تقدم تخريجه ص ١٢٣.
(3) القلاص: بكسر القاف جمع قلوص ، بفتح القاف ، وهي الناقة الشابة. النهاية في غريب الحديث (٤ / ١٠٠).
(4) تقدم تخريجه ص ١١٣.
(5) سورة التكوير ، آية: ٤.

عليها: لا يعتني بها [1].

المسألة السابعة: موت عيسى عليه السلام ودفنه

لم يرد عن الشارع نص يبين لنا مكان موت عيسى عليه السلام، ولكن ذكر بعض العلماء أنه يموت عليه السلام في المدينة النبوية، وقيل إنه يدفن مع رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

قال القرطبي - رحمه الله -: " واختلف حيث يدفن فقيل: بالأرض المقدسة ذكره الحليمي، وقيل: يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه من الأخبار" [2].

(1) شرح صحيح مسلم للنووي (٢ / ١٩٢).

(2) التذكرة (٢ / ٧٩٤) ، وانظر لوامع الأنوار البهية (٢ / ١١٣).